

العوامل الاقتصادية والاجتماعية في حدوث الجرائم

— الوراثة والتربية —

يقال ان التكامل الشخصي او الحياة الشخصية هي نتيجة عاملين : الوراثة والتربية . ويتصدون بالوراثة حادثة مشابهة للولاداً بويه او الميراث الذي ورثه في تكوينه وغرائزه من الأبوين بالنظر لكونه هو الذي انتج هذه المشابهة . فالتوأمان يتشابهان بعامل الوراثة ويختلفان بعامل التربية . فالأختلاف البسيط الغير محسوس الذي تكونه التربية يتزايد او يتطور ويتنوع مع الازمات ويتنزل مع الأجيال فيصبح اختلافاً وفاقاً كبيراً محسوساً . فالتربية والوراثة هما عاملان من اقوى العوامل التي تسير المخلوق على محرك معين في الحياة بل هما يختطان هذا المحرك . ويعرف جوستاف لوبون (التربية) بأنها الفن الذي يعمل على ادخل الشعوري بالاشعوري . وكأنه يريد بذلك تلك الأساليب التي بها يصل المربي لأن يجعل من تطبع المتربي طبعاً ومن تدريبه اعتياداً وغريزة ومملكة . فيصبح المتربي الذي كان قبل تربيته يشعر بمتعب في العمل يعمل بدون عناء ويدون ان يدرك ويشعر بعمله .

التربية من شأنها ان تخلق الملكات وتغرس في النفوس الغرائز فتكون في الاشخاص شخصياتهم وتؤثر في كل حركة من حركات الشخص . ومعتمادي الاجيال تنتقل التربية للاحفاد مع الدم . واذا بأرواح الأجداد تنبعث في نفوس الأحفاد ومتى علمنا ما للوراثة والتربية من تأثير في تكوين شخصيتنا وخلق قنسياتنا نحققنا ما لهذين العاملين من التأثير في حدوث الجرائم وارتكاب السيئات كما اننا ندرك ما لهما من التأثير في اعمال البطولة وعمل الحسنات . فالتربية السيئة تخلق الجناة ذوي النفوس الريضة والتربية الصحيحة تخلق الصالحين ذوي النفوس العظيمة . ان السجايا العالية والصفات الحسنة هي التي تضمن الظفر في معركة الحياة للانسان وليست العلوم والمعارف الواسعة ولا جميع النظريات العميقة باكثر ضماناً له من اخلاق وخصال حميدة

٧٣٠ قضايا الطلاق في اميركا

٧٣٢ العدد ٧ المشؤوم

٧٣٤ من سجن الى سجن ، فاراقصة الشهيرة راهنا

٧٣٥ جريدة لاندرو

٧٣٧ رواية العدد — ميشيل زعيم اللصوص

﴿ مواضيع مختلفة ﴾

٧٤٨ الربا او الفائدة تعريب الاستاذ توفيق بك السويدي

مدير مدرسة الحقوق ببغداد

٧٥٦ قضاء المحاكم الاجنبية

٧٦٤ السؤال والاقتراح

٧٧٠ باب التمرىظ والانتقاد

١٣٣ شرح كتاب البيوع للاستاذ على حيدر افندي معربا عن التركية

تسكونت في نفسه وتربى عليها . فالتربية الصحيحة لا تكون بالاساليب التي من نتائجها ان املاء الدماغ بالمحفوظات والذهن بالنظريات ولكنها هي الطريقة المثلى في الرياضة المادية والمعنوية العملية التي ترقى في الانسان خواص الابداع والحكمة وتقوي الارادة واللبات وتعوده الاعتماد على النفس وحكم نفسه وان يغلب على مصائب الحياة ومشاكلها منها تنوعت وتكثرت .

لقد ورثنا عن اجدادنا بقية من بقايا ذلك التحكم والسيطرة العائلية التي لعبت دوراً اجتماعياً في العصور الغابرة التي يحتمل ان تكون موافقة لتلك الاجيال — وحكم الوراثة القاهر دعى الكثيرين من الابوين يحملون هذه الجرثومة المضرّة من السيطرة ويعتقدون بضرورة تطبيقها على الطفل في يومنا هذا وقد تأصلت جذور هذه العقيدة في نفوسهم فاصبحوا يقصرون بان لا سبيل الى الوصول الى تربية صحيحة الا باستعمال القوة والشدّة . وكثير من بينهم من هو مفرط في هذه العقيدة الراسخة لدرجة الممجيّة كلهم نسخة عن اجدادهم في العصور الابتدائية .

وبذكر مؤلف كتاب (الجرم والمجتمع) ابذره بورولو بان احدى الامهات الافرنسيات في العصر السادس عشر كانت تضرب ابنتها وعمرها ١٥ سنة بالسوط للدرجة كانت الدماء تسيل من جسم البنت وكانت تفقد بذلك تعويدها على عبارة (والدتي المدام) ثم يذكر ان الجرائد كتبت بتاريخ مايس ٩١٦ حكاية عن الطفل الصغير (بييه — B) وسنه خمس سنوات وقد مات شقيبا الاذى الذي لحقه من والدته وكان جسمه ممتلئاً بالرضوض المسيبة عن الصدمات وبالعضوض الكثيرة . وكانت هذه القاتلة قد مرقت ولدها بصورة فظيعة ومؤلمة حتى انها قطعت آتة اربا باسنائها وقسم بالسكين . ونتيجة الحكم كانت المرأة B مسؤولة وحكمت بالاشغال الشاقة اثني عشر سنة . مع ان جميع الدلائل اظهرت بان هذه المرأة كانت مختلة الشعور . يقول المؤلف وكان يجب على المجتمع اقصائها عنه ما زالت هي مخاطرة والا ما معنى

لمثل هذا الحكم .

ولقد شاهدت بنفسي رجلاً لحاماً قد التقى بابنه وهو في سن العاشرة من العمر الى الأرض واضعاً احدى ركبتيه على صدره ويده سكيناً يهدده بها بالذبح كأنه احدى الغنم في المسالخ ولم يكن من سبب لذلك الا تاخره عن الحجى بوقته . ولم ينبج ذلك الولد من همجية ابيه الا ازدحم الناس ولم تكن هذه الحادثة الحادثة الوحيدة التي يشاهدها الانسان في بلادنا . وهناك الحوادث المتنوعة بكثرة ولو تكني لمدقق ضبطها بانصاف لسمعنا ما تشعره الأبدان من هذا الوسط الجاني . تلك صورة عن بقايا التحكم والسيطرة العائلية . وهناك صور اخرى من حيث النتائج مما سترت في ظواهرها واشكلها .

لقد كان من نتائج الرقي السياسي والنظريات العلمية الصحيحة اتساع ساحة العمل للحكومات اكثر فأكثر الى ان تداخلت بالفعل في شؤون العائلة وعمدت الى تنقيص هذا التحكم العائلي لاسيما بعد ان ترقى نفسية المجتمع واصبح نافقاً على هذا الشكل من السيطرة القديمة .

كثيرون هم الآباء الذين يجسسون اولادهم في بيوت مظلمة بقصد تقويم اعوجاجهم فيورثونهم بذلك ضعفاً في الصحة وضعفاً في العقل وكثيرون منهم من ادما الخمر فآخروا لهذا العالم البلياء والحقى ورائة وتربية . وكثيرة جداً هي الأمثلة على المعاملات السيئة والتربية المضرة التي يجريها الآباء في حق الأولاد .

ولقد دعت هذه المعاملات السيئة وامثالها محبي الانسانية ان يطلبوا الى الحكومات والهيئات النيابية ان تقوم بمهمة تعد اصلاحاً كبيراً للمجتمع . وهي نزع الأولاد من ايديهم الجناة والسفهاء بقصد ان يربوا التربية الصحيحة . يقول (فيلكس له دانتق) في كتابه (الأثانية) « ان الأب يرى كأنه قد تضرر في حقوقه المقدسة اذا تساهل ابنه فنصر عن القيام بواجبه المقدس وهو مجرم

في نظره الا انه اذا كان الأب ذكياً ويحكم عقله فيتحقق لديه من ان العمل الأبوي المسيطر لوالد له من العمر خمس وثلاثون سنة قد يكون حماقة . واما ان كانت تلك العاطفة عاطفة قدس حقوق الأب قد تقوت فيه فتراه لا يرى بدأ من ان يجرد نفسه ما يبرر عمله ويعطيها به استحقاقاً وامتيازاً . فإذا صادف وكان الابن ذكياً فهو يقاوم الاستبداد الأبوي لما يرى فيه من مخالفة للعقل وخروج عن حد الطوق اما ان كان الابن مثبعاً بالافراط بواجباته تجاه ابيه فهو يلوم نفسه لأنها فسحت للعقل مجالاً لان يجرأ على نقض حكم العاطفة . فالحوادث التي كثيراً ما كونت المصائب العظيمة قد نشأت عن هذا الحق وذاك الواجب اللذين لوحظا منذ أمد طويل كأنهما مقدسان . واني ارى في تداخل الحكومة في امر تخفيف تلك الحوادث وادخلها في قوانينها تطور اجتماعي مفيد وتكييف علوي للحالة الاجتماعية المضرة له الدرجة الأولى من الاهمية وهذا مما يدل على ان واضعي القانون ادرکوا خطر المفهومات المافوق الطبيعة المطلقة .

ان نزع الاولاد الذين يخشى عليهم من تأثير المعاملات السيئة من هؤلاء الالباء السفهاء او الجناة شي . جميل جداً له التأثير الحسن في اصلاح المجتمع وهو حسن من حيث الفكر والنظريات ولكن هنالك حتى في البلاد الراقية عقبات صعبة في تطبيقه . . اذ يجب اولاً تأمين المؤسسات والملاجى العمومية التي تربي الولد على امس التربية الصحيحة الغير متقدمة قبل ان ينزع الولد من ايدي ابويه الذين لا يحسنون تربيته . وحالة القول فان من واجب الحكومات العادلة ان تنزع الاولاد أنى تحققت انهم سيكونون ضحية جهل الابوين السفهاء .

على ان هذا العمل يحتاج لدقة زائدة حذراً من ارتكاب الخطأ باتهام بعض الالباء الذين يرتكبون في عمرهم جنحة بسيطة بظروف القاهرة حتى اذا ما زالت تلك الظروف وتبدلت عاد ذلك الاب شريفاً ذا نفس

عالية . فان نزع الاولاد من مثل هذا الاب يكون ظلماً فادحاً .

ان الرقي الاجتماعي لمو الكافل لحل هذه المشكلة الاجتماعية ولكنه حتى اليوم ليس بقادر كل القدرة . ولا تزال الحوادث ، القطيعة تتكرر في العائلات وتؤثر في تربية الاولاد حيث يقذف بهم لجناة في وسط المجتمع الذي هو بدوره يتلقاهم غير مكترث لاصلاحهم .

ومن هذا التحكم العائلي والسيطرة القديمة تلك المعاملات السيئة التي لا تحصر وهي كثيرة التنوع ومنها الضرب بالايدي واللكم والصفع على الوجه ولكمات الرجلين والاحذية واللطم بالخواتم وبالفضيب والكرباج والربط بالحبل واستعمال الاوائل والاواني اليدوية واسطة للضرب والجروح الخفيفة والشديدة في كثير من الاحيان ومن المعاملات الفاسية شد الاذنين ونفث الشعور والضرب على الاصابع . ومنها عدم الاعتناء بالطفل وتركه في الاماكن المظلمة واهماله حتى تحرق اعضاء جسمه بالنار او تعطل بالخدود والسباح له ان يعتاد على المشروبات الروحية الفوية وان يخرب معدته بافراطه في الغذاء . كل هذا وما شابهه من المعاملات الفاسية ليست سوى مظاهر للتربية السيئة . وان قلباً جبيل على الشفقة ليتفطر حزناً وأسى على ذلك الطفل الذي تجره امه من شعره وتلطمه بايديها وارجلها وتعضه باسنانها وهو ملقى على الارض تجرحه بكل الآلات التي تصادفها امامها ويبيكي أولاً من مجير وتصب عليه جام غضبها ولا ذنب له الا سوء تربيتها وعدم معرفتها وجهلها باساليب التربية الصحيحة .

ومن الاساليب المغلوطة في التربية ان يملأ دماغ الطفل منذ سن الشباب بمحفوظات تافهة ومعاقبه على عدم حفظها شد العقاب ، ثم تصفيه رأيه في كثير من الاعمال وتوقيفه عن اكمال عمله الذي بدأ فيه حتى ولو كان من جملة الاعمال التي يعملها الاب مباشرة ، فيعتاد الولد على الكذب وعلى

اهتمام الحقوق حيث لا يسمح له الابوان بمناقشتهم ولو كان ابلق بجانبه ، وكثيراً ما يرون من مصلحتهم اخفاء الحقائق التي يشعر بلزوم فهمها ومنعوه عن اسئلة لا تضر به فيما لو اجيب عليها فيعوده على الرباء وعلى الاخلاق السيئة ، ثم يفرحون كما تيسر لهم ان يبعدوا باولادهم عن مجالسهم للازفة حيث يترغون في حماة الرزيلة التي يلقيها عليهم ابناؤ الوسط السوم بسوء الخلق والامراض القتالة .

ومن التربية السيئة الضغط على الحرية والاختيار والارادة وتعويد الولد على اطاعة العمياء ، بالتضييق على اختياره وحرية فيفقد كل ارادة ومنافشة وفكر ويصل به الامر الى عدم التفريق بين منافع ومضاره ولا يرى جهة لانرجيح الا ما رجحه ابواه . وكأنما هم يمتتون فيه الارادة مع ان الارادة اثن شي . يورثونه الولد في هذه الحياة واقرى سلاح يسلحونه اياه .

وفوق هذه التساوة الخلل في تغذية الطفل والخطيئات التي ترتكب في امر حفظ الصحة وكل ما في البيت من سيئات . وما يتلقنه في الطريق من فساد الاخلاق وما يقدمه له الجوار من سوء المثال في التربية وما تلقنه اياه العائلة من الخرافات والافكار الضيقة المحصورة . ومتى ضمت مع كل هذا سيئات المدرسة وخطأ التعليم وقلة التهذيب العملي يتكون من الطفل مخلوق قبيح ، كاذب ، وراء اناني ، عصبي فاقد الارادة والوجدان ، سيء الخلق بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى . وبالنتيجة ان لم يكن جانباً فقيه الاستعداد الكافي لأن يصبح جانباً وغير مقتدر على تربية اولاده تربية قوية في المستقبل . فالأب الذي يعجز عن جعل تربية ابنه صالحة ويورثه الاستعداد المضرب بحياته يعجز كذلك عن تحقيق وتدقيق ما يتلقاه ابنه في المدرسة . ذلك المكاتب الذي يجتمع فيه في صف واحد وفي قاعة واحدة اولاد نشأوا على اخلاق وعادات غير متساوية في عائلات مختلفة فأكثرهم استعداد لقبول الاخلاق السيئة يتلقى من رفثائه بسرعة وبعامل « السراية الذهنية » كل ما هو خطر

عليه وعلى المجتمع فيزداد مرضه قوة . فأت كان الطفل قد نشأ في عائلات منعمة فهو في الغالب يسلم لمرضة او لخادمة لا يفكر لحظة في امر انتقامها فترضه المرضعة الطبايع السيئة مع اللبن والخادمة الناقصة التربية تؤذيه بانواع الأذى في اعضائه ودماعه . فهو من الوجهة الأخلاقية في خطر .

اما اذا كان الطفل يتيماً ومهملًا بصورة قطعية فلا أرجح ان يصبح ممرضاً لأن يهوي في هاوية الشقاوة وهيهات ان يعادل اعتناء الوالدة وحنانها وشفقتها اعتناء آخر في العالم .

ويقول مؤلف كتاب (الجرم والمجتمع) (اندره . لورولو).

وما على الجناة الا ان يتحققوا من ذلك القاتل ابن الثامنة عشرة من عمره عن الجواب الذي اعطاه في المحكمة . يقول للرئيس « ماذا تريدون ان اقول لكم . منذ السنة السابعة من عمري . وجدت نفسي وحيداً على ارضة باريز . ولم اصادف احداً من الناس ليهدني في حياتي . وقد تركت للصدف وانا ولد صغير . لقد كنت ضائعاً . ولقد قضيت حياتي وانا في السجون والتوقيف . وهذا هو قدري ، ولم اجد شخصاً ينصحيني مطلقاً . ولما لم يبق امامي الا السرقة سرقت وانتهى بي الأمر الى ان اصبحت قاتلاً » .

والخلاصة من كل ما مر يتضح بأننا حتى في اشرف العائلات نسباً واكثرها رقياً نحتاج الى تجديد في التربية بصورة تتوافق مع الأخلاق الفاضلة واننا في حاجة لمدارس تعلمنا وتهذبنا وفقاً لحاجات الزمن . وان نعني في امر الزواج وفي صحة الأزواج اذ من الأبوين الصالحين الطاهرين الأتقاء يولد أبناء صلحاء اتقاء وبالعكس .

يجب على المجتمع ان يسعى بكل قواه لتلطيف وتسهيل شرائط الحياة للطبقات

العاملة البائسة لأن باصلاحها امان من العدوى الأخلاقية وتقضي الأمراض وامن،
من تكثير الجناة.

يجب على المجتمع ان يحل مشكلة الزواج بيسهل طرقها وسبلها فيظهر هذا الوسط
العائلي من الامراض الاجتماعية التي تقتك في جسمه وتهذب النفوس حيث تصبح
اكثر طهارة واقرب للاخلاق الحسنة فيسود النظام في العائلات ويعود الرجل فيجد
معظم لذاته في يده بدلا من ان يقضي اوقاته في المقاهي والخارات. ولو كانت التربية
الاخلاقية اساساً للعائلات في هذا الزمن لما رأينا ما نراه من الشقاوة في عائلاتنا
وان هذا الفساد ليجري حركه في الابناء لاننا فاقدون كل ميل وقوة في ذهنيتنا
واخلاقنا لان تربهم على الاساليب الصحيحة . وما لم يتكاتف المجتمع وتعااضد
افراده فتتشكل الجمعيات للارشاد والتهذيب الاخلاقي وتصلح طرق الوعظ الديني
ويتقوى الوعاظ والمدرسون الصالحون الاكفاء وما لم يلاحظ في الاساتذة اخلاقها
وتربيتها وما لم تلاحظ في مدارسنا الصحة والنظام والتربية بانواعها . لا ترقى العائلة
ولا تسود فيها الراحة ولا يمكنها الا ان تخلق الاشرار وتكون ولاء على البشر يتعلى
ان العلوم والنظريات الصحيحة اثبتت امكان جعل العائلة والبيت مهداً للسعادة
وعاملاً قوياً في رقي هذا المجتمع . فويل لمجتمع اضاعته الاهواء وقتلته المصالح الشخصية
والجهل .

د. ابو العافية

﴿ تطور الحقوق العقابية ﴾

« وما قام عليه العقاب من المبادئ والنظريات »

من العبث ان نبحث هنا عن الرقي في الحكومات التي لا تزال القوضي ضاربة
فيها اطنابها والامن والنظام مختارين .